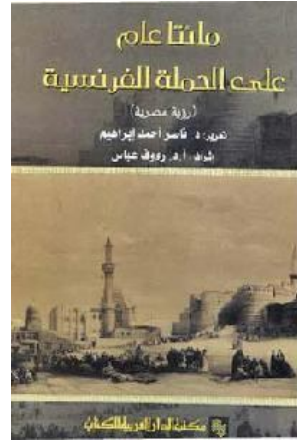


«مننا عام على الحملة الفرنسية... رؤية مصرية» عنوان كتاب جديد من تحرير ناصر أحمد إبراهيم بإشراف **رؤوف عباس** أصدرته مكتبة الدار العربية للكتاب في القاهرة وشارك فيه أكثر من عشرين باحثاً ومؤرخاً. يدرس الكتاب الحملة الفرنسية (1798 - 1801) من زوايا شتى ولم يترك سؤالاً حولها إلا وافاه بحثاً ودراسة وتمحيصاً. وتم تقسم الكتاب إلى أبواب موضوعية مثل: المقاومة، نقد المشروع، إشكاليات الترجمة، الحملة المصرية في المصادر وفي المناهج، اتجاهات التفسير المتعلقة بها، كيف تجلت الكتابات عنها في المنظور العربي المعاصر، وهل كانت الحملة صدمة فعلاً؟



ثم تختتم الأبواب بقراءة نقدية للمسألة كلها، في رؤية مصرية لتطور التاريخ الحديث في مصر، ذلك التاريخ الذي يجعل البعض الحملة الفرنسية مفصلاً من مفاصله الرئيسية، على رغم أنها كانت قطعاً في التطور الطبيعي لهذا التاريخ. ويلاحظ أن الكتاب لم يقع تحت وطأة الانبهار بالفرنسيين الأمر الذي أتاح للرؤى المتنوعة أن تكون موضوعية وخالية من التحامل الذي تحتمله الرؤى التاريخية. ولم يقع كذلك في فخ رؤية الذات رؤية متعالية اعتماداً على تاريخها الذي كان ذهبياً وإنما تم وضع الحملة في سياقها من تطور التاريخ العالمي في الشرق الأوسط وفي القلب منه مصر. كما يلاحظ أنه عندما جرى الاحتفال في مصر بمناسبة مرور قرنين على الحملة كانت معظم كتابات الفرنسيين تركز على الحملة باعتبارها رسالة حضارية قامت من خلالها فرنسا بنقل الحضارة الغربية إلى الشرق الإسلامي المتخلف.

ولعل صدور هذا الكتاب الآن في ظل الصراع على الشرق الأوسط بما يشكل حلقة متشابهة مع ظروف الحملة في نهاية القرن الثامن عشر، يعني أن المهتمين بتاريخ المنطقة غير غافلين عن ما يجري حولها من صراعات وأنهم على مستوى التحدي الحضاري.

هذا الكتاب الذي صدر في 750 صفحة من القطع الكبير كان محصلة مؤتمر الجمعية التاريخية الذي خصصته لهذا الموضوع عام 1998 من منطلق إعادة تقويم الحدث ووضع ما ترتب عليه من آثار سياسية وثقافية على مصر والشرق العربي في حجمها الحقيقي بحسب وصف **رؤوف عباس** المشرف على الكتاب. ويذهب **عباس** إلى أن الكتاب وضع الحملة الفرنسية في إطار المشروع الاستعماري الأوروبي ولذلك يتوقف أمام موجات المقاومة الضارية التي لقيتها الحملة في البقاع المصرية، فلم تتركز المقاومة في القاهرة والإسكندرية فحسب بل شملت ريف الدلتا والصعيد، كما أن الوجود الفرنسي في مصر لم يكن «هينا لينا» بل واجه جنود الحملة مختلف الأمراض التي حصدت أرواح بعضهم كما أفقدت الإصابة بالمرض الصيدي العديد منهم نعمة البصر.

ويختتم **رؤوف عباس** تقديمه بنقطة مهمة تغيب عن بال الكثيرين حين يقول: «لم تكن تعيننا رؤية شيوخ المؤرخين وحدهم، بل حرصنا على أن نعطي المساحة الأكبر للباحثين الشباب حتى يتحقق التواصل الفكري بين الأجيال ويتاح للشباب التعبير عن رؤيتهم الخاصة لهذا الحدث». أما ناصر أحمد إبراهيم فيقف أمام إشكالية أخرى في الكتاب عن الحملة الفرنسية وهي أنه على رغم كثرة الكتابات عنها فإن هذا الإنتاج الضخم الذي قدم عن الاحتلال الفرنسي لمصر، صاغ في الأساس وجهة نظر المحتل الذي بلور خطاباً أيديولوجياً من النوع التبويري الذي يغلف الحقائق بالأفكار التي تخدم مصالح المستعمر بصرف النظر عن تناقضاتها مع الواقع التاريخي في الوقت الذي لم توازه إسهامات جادة من الجانب المصري».

وبدا الخطاب الفرنسي مهيمناً على تفسير تاريخ هذا الحدث ومغزاه - كما يقول ناصر إبراهيم – في شكل أدى في النهاية إلى «اضطراب الصورة الناجمة عن تلك الغزوة الاستعمارية».

<http://www.daralhayat.com/culture/bookrevs/04-2008/Item-20080426-8bbfc882-c0a8-10ed-01e2-5c73526ce258/story.html>